

بعد عام من المفاوضات الشاقة سمحت الحكومة التركية مؤخراً بفتح قاعدة "أنجريك" الجوية أمام الطائرات الأمريكية لبدء حملة جوية جديدة لضرب أهداف لتنظيم الدولة الإسلامية داخل سوريا والعراق. ويقول مراقبون إن نتائج تلك الصفقة ستؤدي إلى دعم جهود الولايات المتحدة في قتال تنظيم الدولة كما أنها على العكس ستؤدي إلى حالة من عدم الاستقرار في الداخل التركي.

والحقيقة أن ما دفع بأنقرة للموافقة على قيام الولايات المتحدة باستخدام قاعدة "أنجريك" الجوية هو اعتبارات سياسية داخلية ولا تعني تغييراً في الاستراتيجية التركية المتبعة تجاه الأزمة السورية.

والذي حدث بمجرد توقيع الاتفاق بين أنقرة وواشنطن أن قام الرئيس التركي "رجب طيب أردوغان" بإصدار الأمر بشن سلسلة من الهجمات الجوية ضد أهداف كردية، تلك الخطوة التي أدت إلى تأجيج الصراع الذي كان على طريق الحل، ولكي تصبح الأمور أكثر تعقيداً فقد أمرت القيادة السياسية التركية باستهداف مواقع الأكراد السوريين الذين يمثلون حتى الآن الحليف الأساسي للولايات المتحدة في قتال تنظيم الدولة الإسلامية في شمال سوريا.

وغالباً ما تباينت وجهات نظر واشنطن وأنقرة حول الوضع السوري بعد رحيل بشار الأسد، وعلى الرغم من أن سياسية الولايات المتحدة تجاه سوريا طالما اتسمت بالتناقض والغموض إلا أن واشنطن كان لها تصور لمرحلة ما بعد الأسد يقوم على التعددية واحترام حقوق الأقليات، أما أنقرة فقد أدركت مبكراً أن السياسة القمعية التي ينتهجها بشار الأسد ضد معارضيه ستؤدي إلى ازدهار التطرف لكن على الجانب الآخر فإن تركيا تسعى لإقامة نظام حكم سني في سوريا يعتمد على الفصائل التي تتبع منهج جماعة الإخوان المسلمين.

ومما يُفسر رغبة "أردوغان" في إقامة نظام حكم سني في سوريا تخاذل أنقرة في مواجهة الهجمات عبر الحدود السورية التركية طوال أربع سنوات وكذا الدعم الذي تقدمه أنقرة لجبهة النصرة المحسوبة على الجماعات المتشددة، كما أن تركيا لم تشعر جدياً بخطر التهديد الذي يمثله تنظيم الدولة إلا بعد سقوط مدينة الموصل العراقية في يد التنظيم، وحتى بعد سقوط الموصل فإن أنقرة ظلت خلف واشنطن بخطوات في طريق محاربة تنظيم الدولة.

أما على مستوى الداخل التركي فقد سعى "أردوغان" إلى كسب أغلبية مقاعد البرلمان بغرض تدعيم صلاحياته الرئاسية وبداية ترسيخ سياسة الحزب الواحد في تركيا، لكن جاءت الأمور على العكس مما أراد "أردوغان" الذي فقد حزبه "العدالة والتنمية" الأغلبية المطلقة في البرلمان خلال الانتخابات التي جرت في شهر يونيو الماضي مما حدا بالرئيس التركي إلى الإعلان عن انتخابات مبكرة في نوفمبر المقبل على أمل استعادة الأصوات التي خسرها حزب العدالة والتنمية في الجولة السابقة.

ولكى ينجح "أردوغان" في السيطرة من جديد على البرلمان عمد إلى اتخاذ عدة خطوات منها محاولات إصاق تهم الإرهاب بحزب الشعوب الديمقراطي الكردي الذي يمثل منافساً قوياً للعدالة والتنمية وكذا محاولة كسب مزيد من أصوات حزب الحركة القومية، وقد سعى "أردوغان" للتغطية على الأزمة التركية الداخلية عبر شن سلسلة هجمات جوية على مواقع حزب العمال الكردستاني بشمال العراق وكذا شن هجمات بالمدفعية على مواقع حزب الاتحاد الديمقراطي الكردي داخل سوريا، وأخيراً فقد بدأ "أردوغان" بحملة قمعية تستهدف الأكراد في الداخل التركي مما يُنذر بانفجار الوضع في أية لحظة.

وتلك الاستراتيجية من الممكن أن تساعد "أردوغان" على أن يفوز بانتخابات لكنها أبداً لن تنجح في مواجهة تنظيم الدولة الإسلامية، ومن الطبيعي أن تؤدي الضربات التركية لكل من حزب العمال في شمال العراق وحزب الاتحاد الديمقراطي في شمال سوريا إلى إضعاف الجبهة الكردية لصالح تنظيم الدولة الإسلامية.

ويجب علينا أن نتذكر أن قوات حزب الاتحاد الديمقراطي الكردي المدعومة من حزب العمال الكردستاني هي التي استطاعت تحرير مدينة عين العرب "كوباني" من أيدي مسلحي تنظيم الدولة العام الماضي وكذا الاستيلاء مؤخراً على مدينة "تل أبيض" مما أدى إلى قطع طريق هام لإمداد وتموين تنظيم الدولة بشمال سوريا.

أما فيما يخص الحملة الجوية الأمريكية التركية على مواقع تنظيم الدولة بسوريا والعراق فتلك الحملة من الممكن أن تؤدي إلى إضعاف قدرات تنظيم الدولة على الأرض لكنها ستشكل في الوقت ذاته عائقاً أمام الجهود الاستخباراتية التي يقوم بها الأكراد في مواجهة تنظيم الدولة والتي غالباً ما تكون حاسمة في تقديم معلومات حول مواقع التنظيم بسوريا والعراق.

كما أن إضعاف الجبهة الكردية سيؤدي على المدى الطويل إلى تدمير الجبهة التي تقف على الأرض في مواجهة تنظيم الدولة، كما أن التضييق الذي تقوم به حكومة أنقرة على الحركات الكردية عبر الحدود سيؤدي إلى فقدان

المزيد من المقاتلين المعتدلين المحسوبين على المعارضة السورية وكما سيفتح الباب أمام فصائل أخرى متطرفة مثل جبهة النصرة وأحرار الشام مما سيؤدي بالتبعية إلى فتح الباب أمام الصراعات الطائفية التي تعاني منها سوريا بالأساس منذ أربع سنوات.

وقد طالب وزير الدفاع الأمريكي "أشتون كارتير" مؤخراً السلطات التركية ببذل المزيد من الجهد في القتال ضد تنظيم الدولة معلناً عن حصوله على تعهد من وزير الخارجية التركي بتصعيد الضربات الجوية ضد مواقع التنظيم، لكن المسئول التركي لم يخبرنا ما إذا كانت أنقرة ستستمر في قصف المواقع الكردية من عدمه.

وفي تلك الحالة فإن الصفقة الأخيرة بين أنقرة وواشنطن تعتبر صفقة فاشلة، فالقيام بحملة جوية مشتركة محدودة التوقيت ضد تنظيم الدولة لن يساوي شيئاً أمام إضعاف القوة الحقيقية التي تقاتل التنظيم على الأرض ونعني بها الأكراد، كما أن تركيا بوضعها الحالي من عدم الاستقرار الداخلي إلى الاضطرابات عبر الحدود لن تستطيع أن تمثل الحليف الاستراتيجي الذي تستطيع واشنطن أن تعتمد عليه في منطقة مضطربة مثل الشرق الأوسط.

ويقول مراقبون إن الرئيس الأمريكي باراك أوباما تقع عليه تبعات إعادة أنقرة إلى صوابها عبر التضييق على الاقتصاد التركي في الخارج وكذا تخفيض درجة التعاون الاستخباراتي والعسكري بين واشنطن وأنقرة لحمل الأخيرة على المشاركة بفعالية في الحرب ضد تنظيم الدولة الإسلامية.

ترجمة: أحمد سامي

كاتب المقالة : بيلم: إيريك إيدلمان
تاريخ النشر : 02/09/2015
من موقع : موقع الشيخ محمد فرج الأصفر
رابط الموقع : www.mohammdfarag.com